

وَالْأَصَالُ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ هَ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ه

سورة الأنفال

مدنية إلا من آية ٣٠ إلى غاية آية ٣٦ فكية وآياتها ٧٥ نزلت بعد البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رِبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *

شرعت بالمدينة (اعلمكم ترحمون) قال بعضهم الرحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن لهذه الآية (واذكر ربك نفسك) يحتمل أن يريد الذكر بالقلب دون اللسان أو الذكر باللسان سرا، فعلى الأول يكون قوله : ودون الجهر من القول ؛ عطف متغاير أى حالة أخرى، وعلى الثانى يكون بيانا وتفسيرا للأول (بالغدو والآصال) أى فى الصباح والعشى والآصال جمع أصل والآصل جمع أصيل، قيل المراد صلاة الصبح والعصر، وقيل فرض الخمس والأظهر الإطلاق (إن الذين عند ربك) هم الملائكة عليهم السلام، وفى ذكرهم تحريض للمؤمنين وتعريض للكفار (وله يسجدون) قدم المجرور لمعنى الحصر أى لا يسجدون إلا لله والله أعلم

سورة الأنفال

نزلت هذه السورة فى غزوة بدر وغنائمها (يسألونك عن الأنفال) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والسائلون هم الصحابة، والأنفال هى الغنائم، وذلك أنهم كانوا يوم بدر ثلاث فرق: فرقة مع النبي صلى الله عليه وسلم فى العريش تحرسه، وفرقة اتبعوا المشركين فقتلوه وأسروه، وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكرهم لما انهزموا، فلما انجلى الحرب واجتمع الناس رأت كل فرقة أنها أحق بالغنيمة من غيرها، واختلفوا فيما بينهم، فنزلت الآية ومعناها يسألونك عن حكم الغنيمة ومن يستحقها، وقيل الأنفال هنا ما ينقله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادة على حظه، وقد اختلف الفقهاء هل يكون ذلك التنفيل من الخمس وهو قول مالك، أو من الأربعة الأقسام، أو من رأس النعمة، قبل إخراج الخمس (قل الأنفال لله والرسول) أى الحكم فيهما لله والرسول لا لكم (وأصلحوا ذات بينكم) أى اتفقوا واتفقوا، ولا تنازعوا، وذات هنا بمعنى الأحوال، قاله الزمخشري، وقال ابن عطية يراد بها فى هذا الموضع نفس الشيء وحقيقته وقال الزبيرى إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب (وأطيعوا الله ورسوله) يريد فى الحكم فى الغنائم، قال عبادة بن الصامت نزلت فينا أصحاب بدر حين اختلفنا وسامت أخلاقنا، فزرع الله الأنفال من أيدينا، وجعلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها على السواء، فكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين (إنما المؤمنون) الآية: أى الكاملون بالإيمان فانما هنا للتأكيد والمبالغة والحصر (وجلّت قلوبهم) أى خافت وقرأ أبى بن كعب فزعت (زادتهم إيماناً) أى قوى تصديقهم وبقيهم

أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْنِكَ
بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ
يَنْظُرُونَ ۝ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ
أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيَبْطُلَ الْبَاطِلُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝ إِذْ
تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَكَةِ مُرَدِّفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ

خلافاً لمن قال إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وإن زيادته إنما هي بالعمل (لهم درجات) يعنى فى الجنة
(كما أخرجك ربك) فيه ثلاث تأويلات أحدها أن تكون الكاف فى موضع رفع على أنه خبر مبتدأ
محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعنى أن حالهم فى كراهة تنفيل الغنائم كحالهم فى حالة
خروجك للحرب ، والثانى أن يكون فى موضع الكاف نصب على أنه صفة لمصدر الفعل المقدر فى قوله الانفال
لله والرسول أى استقرت الانفال لله والرسول استقراراً مثل استقرار خروجك ، والثالث أن تتعلق الكاف
بقوله يجادلونك (من بينك) يعنى مسكنه بالمدينة إذ أخرجه الله لغزوة بدر (وإن فريقاً من المؤمنين
لكارهون) أى كرهوا قتال العدو ، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها أموال عظيمة ، ومعها
أربعون راكباً فأخبر بذلك جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فخرج بالمسلمين فسمع بذلك أهل مكة فاجتمعوا
وخرجوا فى عدد كثير ليمنعوا عيرهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله قد وعدكم إحدى الطائفتين ،
إما العير وإما قريش ، فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فقالوا العير أحب إلينا من لقاء العدو ،
فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر ، وهذا أبو جهل قد أقبل ، فقال له سعد بن عباد : امض لما شئت
فإننا متبعوك وقال سعد بن معاذ والذى بعثك بالحق لو خضت هذا البحر لخضناه معك فسر بنا على بركة
الله (يجادلونك فى الحق بعد ما تبين) كان جدالهم فى لقاء قريش بايثارهم لقاء العير إذ كانت أكثر
أموالاً وأقل رجالاً ؛ وتبين الحق : هو إعلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأنهم ينصرون
(كأنما يساقون إلى الموت) تشبيه حالهم فى إفراط جزعهم من لقاء قريش (وإذ يعدكم الله إحدى
الطائفتين) يعنى قريش أو عيرهم ، والعامل فى إذ محذوف تقديره اذكروا (أنها لكم) بدل من إحدى
الطائفتين (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) الشوكة عبارة عن السلاح . سميت بذلك لحذتها ،
والمعنى تحبون أن تلقوا الطائفة التى لا سلاح لها وهى العير (أن يحق الحق) يعنى يظهر الإسلام بقتل
الكفار وإهلاكهم يوم بدر (ليحق الحق) متعلق بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك
وليس تكرر إلا لأول لأن الأول مفعول يريد ، وهذا تعليل لفعل الله تعالى ، ويحتمل أن يريد بالحق الأول
الوعد بالنصرة ، وبالحق الثانى الإسلام . فيكون المعنى أن نصرهم ، ليظهر الإسلام ، ويؤيد هذا قوله : ويبطل
الباطل أى يبطل الكفر (إذ تستغيثون ربكم) إذ بدل من إذ يعدكم : وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق أو بفعل مضمّر
واستغاثتهم دعاؤهم بالغوث والنصر (مدكم) أى مكثركم (مردفين) من قولك ردفته إذا تبعه ، وأردفته إياه إذا
أتبعته إياه والمعنى يتبع بعضهم بعضاً ، فن قرأه بفتح الدال فهو اسم مفعول ، ومن قرأه بالكسر فهو

بِه قُلُوبِكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۚ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْ مَعَكُمْ فَتَبَتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۚ

اسم فاعل ، وصح معنى القراءتين لأن الملائكة المنزليين يتبع بعضهم بعضاً فمنهم تابعون ومتبعون (وما جعله الله) الضمير عائد على الوعد ، أو على الإمداد بالملائكة (إذ يغشاكم النعاس) إذ بدل من إذ يعدكم أو منصوب بالنصر ، أو بما عند الله من معنى النصر ، أو بإضمار فعل تقديره اذكر ، ومن قرأ يغشاكم بضم الياء والتخفيف فهو من أغشى ، ومن قرأ بالضم والتشديد فهو من غشى المشدد ، وكلاهما يتعدى إلى مفعولين فنصب النعاس على أنه المفعول والثاني ، والمعنى يغشاكم به فهو استعارة ، من الغشاء ، ومن قرأ بفتح الياء والشين فهو من غشى المتعدى إلى واحد أي ينزل عليكم النعاس (أمنة منه) أي أماناً ، والضمير المجرور يعود على الله تعالى ، وانتصاب أمنة على أنه مفعول من أجله قال ابن مسعود النعاس عند حضور القتال علامة أمن من العدو (وينزل عليكم من السماء ماء) تعديد لنعمة أخرى ، وذلك أنهم عدموا الماء في غزوة بدر قبل وصولهم إلى بدر ، وقبل بعد وصولهم ، فأنزل الله لهم المطر حتى سالت الأودية (ليطهركم به) كان منهم من أصابته جنابة فتطهر بماء المطر ، وتوضأ به سائرهم ، وكانوا قبله ليس عندهم ماء للطهر ولا للوضوء (ويذهب عنكم رجز الشيطان) كان الشيطان قد ألقى في نفوس بعضهم وسوسة بسبب عدم الماء ، فقالوا نحن أولياء الله وفيما رسوله فكيف نبقي بلا ماء ، فأنزل الله المطر وأزال عنهم وسوسة الشيطان (وليربط على قلوبكم) أي يشبها بزوال ما وسوس لها الشيطان وبتنشيطها وإزالة الكسل عنها (ويثبت به الأقدام) الضمير في به عائد على الماء ، وذلك أنهم كانوا في رملة دهم لا يثبت فيها قدم ، فلما نزل المطر تلبدت وتدقت الطريق ، وسهل المشي عليها والوقوف ، وروى أن ذلك المطر بعينه صعب الطريق على المشركين فتبين أن ذلك من لطف الله (إذ يوحى) يحتمل أن يكون ذلك بدلا من إذا المتقدمة كما أنها بدل من التي قبلها ، أو يكون العامل فيه يثبت (فتبتوا الذين آمنوا) يحتمل أن يكون التثبيت بقتال الملائكة مع المؤمنين أو بأقوال مؤنسة مقوية للقلب قالوها إذا تصوروا بصور بنى آدم أو بإلقاء الأمن في نفوس المؤمنين (سألتى في قلوب الذين كفروا الرعب) يحتمل أن يكون من خطاب الله للملائكة في شأن غزوة بدر تكميلا لشئيت المؤمنين ، أو استئناف إخبار عما يفعله الله في المستقبل (فاضربوا فوق الأعناق) يحتمل أيضا أن يكون خطاباً للملائكة أو للمؤمنين ، ومعنى فوق الأعناق أى على الأعناق ، حيث المفصل بين الرأس والعنق لأنه مذبج ، والضرب فيها يطير الرأس ، وقيل المراد الرأس ، لأنها فوق الأعناق ، وقيل المراد الأعناق وفوق زائدة (كل بنان) قيل هى المفاصل ، وقيل الأصابع وهو الأشهر فى اللغة ، وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال فأمكن أسره وقوله (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) الإشارة إلى ما أصاب

ذَلِكَ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ
الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُولَهُمْ يَوْمَئِذٍ دَرَبَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ * بَغَضَ مِنْ اللَّهِ وَمَا لَهُ
جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَارَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى * وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ
مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * ذَلِكَُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ * إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ
الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فُوهُ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

الكفار يوم بدر ، والباء للتعليل ، وشافوا من الشقاق وهو العداوة والمقاطعة (ذلكم فذوقوه) الخطاب هنا
للكفار ، وذلكم مرفوع تقديره ذلكم العقاب أو العذاب ، ويحتمل أن يكون منصوبا بقوله : فذوقوه ،
كقولك زيدا فاضربه (وأن للكافرين) عطف على ذلكم على تقدير رفعه ، أو نصبه ، أو مفعول معه ، والواو
بمعنى مع (زحفا) حال من الذين كفروا ، أو من الفاعل في لقيتم ، ومعناه متقابل الصفوف والأشخاص ،
وأصل الزحف الاندفاع (فلا تولوهم الأدبار) نهى عن الفرار مقيدا بأن يكون الكفار أكثر من مثلي المسلمين
حسبا يذكروه في موضعه (ومن يولهم يومئذ) أى يوم اللقاء أى عصر كان (إلا متحرفا لقتال) هو الكر بعد الفرار يرى
عدوه أنه منهزم ، ثم يعطف عليه ، وذلك من الخداع فى الحرب (أو متحيزا إلى فئة) أى منحازا إلى جماعة من
المسلمين ، فإن كانت الجماعة حاضرة فى الحرب ، فالتحيز إليها جائز باتفاق ، واختلف فى التحيز إلى المدينة ،
والإمام والجماعة إذا لم يكن شيئا من ذلك حاضرا ، ويروى عن عمر بن الخطاب ، أنه قال : أنا فئة لكل مسلم ،
وهذا إباحة لذلك ، والفرار من الذنوب الكبائر ، وانتصب قوله متحرفا على الاستثناء من قوله ومن يولهم ، وقال
الزحشى انتصب على الحال وإلا لغو ، ووزن متحيز متفعلا ، ولو كان على متفعل لقال متحوز ، لأنه من حاز يحوز
(فلم تقتلوهم) أى لم يكن قتلهم فى قدرتهم لأنهم أكثر منكم وأقوى ولكن الله قتلهم بتأييدكم عليهم وباللائكة (ومارميت
إذ رميت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ يوم بدر قبضة من تراب وحصى ورمى بها وجوه الكفار
فانهزموا ، فعنى الآية أن ذلك من الله فى الحقيقة (بلاء حسنا) يعنى الأجر والنصر والغنيمة (موهن) من
الوهن وهو الضعف ، وقرئ بالتشديد والتخفيف وهو بمعنى واحد (إن تستفتحوا) الآية : خطاب لكفار
قريش ، وذلك أنهم كانوا قد دعوا الله أن ينصر أحب الطائفتين إليه ، وروى أن الذى دعا بذلك أبو جهل
فصر الله المؤمنين ، وفتح لهم ، ومعنى إن تستفتحوا تطلبوا الفتح ، ويحتمل أن يكون الفتح الذى طلبوه بمعنى
النصر أو بمعنى الحكم ، وقيل إن الخطاب للمؤمنين (فقد جاءكم الفتح) إن كان الخطاب للكفار فالفتح
هنا بمعنى الحكم : أى قد جاءكم الحكم الذى حكم الله عليكم بالهزيمة والقتل والأسر ، وإن كان الخطاب
للمؤمنين ، فالفتح هنا يحتمل أن يكون بمعنى الحكم ، لأن الله حكم لهم ، أو بمعنى النصر (وإن تنتهوا) أى
ترجعوا عن الكفر وهذا يدل على أن الخطاب للكفار (وإن تعودوا نعد) أى إن تعودوا إلى الاستفتاح
أو القتال نعد لقتالكم والنصر عليكم (ولا تولوا عنه) الضمير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو للأمر

قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * وَاذْكُرُوا إِذْ أَتَمَّ قَلِيلٌ مُسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ خَافُونَ أَن يَخطفَكُمُ النَّاسُ قَاوِلُكُمْ وَأَيْدِيكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتُخَوِّنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخَوِّنُوا أَمَانَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِن هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ اتُّنَّا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَا كَانَ

بالطاعة (وأنتم تسمعون) أى تسمعون القرآن والمواظع (كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) هم الكفار سمعوا بأذانهم دون قلوبهم فسماعهم كلا سماع (إن شر الدواب) أى كل من يدب، والمقصود أن الكفار شر الخلق، قال ابن قتيبة: نزلت هذه الآية في بنى عبد الدار، فانهم جدوا في القتال مع المشركين (لما يحييكم) أى للطاعة، وقيل للجهاد لأنه يحيا بالنصر (يحول بين المرء وقلبه) قيل يميته، وقيل يصرف قلبه كيف يشاء فينقلب من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر إلى الإيمان وشبه ذلك (فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) أى لا تصيب الظالمين وحدهم، بل تصيب معهم من لم يغير المنكر ولم ينه عن الظلم، وإن كان لم يظلم، وحكى الطبري أنها نزلت في على بن أبى طالب، وعمار بن ياسر، وطلحة والزبير، وأن الفتنة ما جرى لهم يوم الجمل، ودخلت النون في تصيين لأنه بمعنى النهى (إذ أتم قليل) الآية: أى حين كانوا بمكة وآواكم بالمدينة، وأيدكم بنصره في بدر وغيرها (لاتخونوا الله) نزلت في قصة أبى لبابة حين أشار إلى بنى قريظة أن ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الذبح، وقيل المعنى لاتخونوا بغلول الغنائم ولفظها عام (وتخونوا أماناتكم) عطف على لاتخونوا أو منصوب (يجعل لكم فرقانا) أى تفرقة بين الحق والباطل وذلك دليل على أن التقوى تنور القلب، وتشرح الصدر، وتزيد في العلم والمعرفة (وإذ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا) عطف على إذ أتم قليل، أو استئناف، وهى إشارة إلى اجتماع قريش بدار الندوة بمحضر إبليس في صورة شيخ نجدى الحديث بطوله (ليثبتوك) أى ليسجنونك (قالوا قد سمعنا) قيل نزلت في النضر بن الحارث كان قد تعلم من أخبار فارس والروم فإذا سمع القرآن وفيه أخبار الأنبياء قال لو شئت لقلت مثل هذا، وقيل هى في سائر قريش (أساطير الأولين) أى أخبارهم المسطورة (وإذ قالوا اللهم) الآية: قالها النضر بن الحارث أو سائر قريش لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم دعوا على أنفسهم إن كان أمره

اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۚ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَ ۚ إِنْ أَوْلِيَاءُ ۚهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۚ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ فَيُصْنَفُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۚ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۚ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّبِعُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَآقَدَ سَلَفٍ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ۚ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ أُتُّهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۚ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نَعِمَ الْمَوْلَىٰ وَنَعِمَ النَّصِيرُ ۚ وَأَعْلُوا أَنَّكُمْ غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ

هو الحق ، والصحيح أن الذي دعا بذلك أبو جهل رواه البخاري ومسلم في كتابيهما وانتصب الحق لأنه خبر كان وقال الزمخشري معنى كلامهم جحود أي إن كان هذا هو الحق فعاقبنا على إنكاره ، ولكنه ليس بحق فلا نستوجب عقابا ، وليس مرادهم الدعاء على أنفسهم ، إنما مرادهم نفي العقوبة عن أنفسهم (وما كان الله ليُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) إكراما للنبي صلى الله عليه وسلم (وما كان الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) أي لو آمنوا واستغفروا فإن الاستغفار أمان من العذاب ، قال بعض السلف : كان لنا أمانان من العذاب وهما وجود النبي صلى الله عليه وسلم والاستغفار ، فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الأمان الواحد ، وبقي الآخر ، وقيل الضمير في يعذبهم للكفار ، وفي وهم يستغفرون للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم (وما لهم ألا يعذبهم الله) المعنى أي شيء يمنع من عذابهم وهم يصدون أي يمنعون المؤمنين من المسجد الحرام والجملة في موضع الحال وذلك من الموجب لعذابهم (وما كانوا أولياءه) الضمير للمسجد الحرام أو لله تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) المكاء التصفير بالغم ، والتصدية التصفيق باليد . وكانوا يفعلونها إذا صلى المسلمون ليخلطوا عليهم صلاتهم (ينفقون أموالهم) الآية نزلت في إنفاق قريش في غزوة أحد وقيل لأنها نزلت في أبي سفيان بن حرب فإنه استأجر العير من الأحباش فقاتل بهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد (تكون عليهم حسرة) أي يتأسفون على إنفاقها من غير فائدة أو يتأسفون في الآخرة (ثم يغلبون) إخبار بالغيب (ليميز الله الخبيث من الطيب) معنى يميز يفرق بين الخبيث والطيب هنا الكفار والطيب المؤمنون وقيل الخبيث ما أنفق الكفار ، والطيب ما أنفق المؤمنون ، واللام في ليميز على هذا تتعلق بـ يغلبون ، وعلى الأول يحشرون (فيركمه) أي يضمه ويجعل بعضه فوق بعض (إن يتبوا) يعني عن الكفر إلى الإسلام لأن الإسلام يجب ما قبله ، ولا تصح المغفرة إلا به (وإن يعودوا) يعني إلى القتال (فقد مضت سنة الأولين) تهديد بما جرى لهم يوم بدر وما جرى للأمم السالفة (حتى لا تكون فتنة) الفتنة هنا الكفر ، فالمعنى قاتلوهم حتى لا يبقى كافر ، وهو كقوله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (واعلموا

وَلَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِذْ أَنتُمْ بِالْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوَّةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافٍ فِي الْمِيعَدِ وَلَئِنَّ لِيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ يَرِيكَهُمْ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَئِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذْ يَرِيكَوهُمْ إِذِ التَّقِيمِ فِي آعِينِكُمْ قَلِيلًا وَيَقْلُسُكُمْ فِي آعِينِهِمْ لِيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ قَوْمًا فَابْتَغُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رَیْحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ

أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ) لفظه عام يراد به الخصوص لأن الأموال التي تؤخذ من الكفار منها ما يخمس : وهو ما أخذ على وجه الغلبة بعد القتال ، ومنها ما لا يخمس بل يكون جميعه لمن أخذه ، وهو ما أخذه من كان يبلدا للحرب من غير إيجاف ، وما طرحه العدو خوف الفرق ، ومنها ما يكون جميعه للإمام بأخدمته حاجته ، ويصرف سائر في مصالح المسلمين وهي التي لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب (فإن الله خمسها) الآية : اختلف في قسم الخمس على هذه الأصناف فقال قوم يصرف على ستة أسهم سهم لله في عمارة الكعبة ، وسهم للنبي صلى الله عليه وسلم في مصالح المسلمين ، وقيل للوالي بعده ؛ وسهم لذوي القربى الذين لا تحل لهم الصدقة ، وسهم لليتامى ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل وقال الشافعي على خمسة أسهم ، ولا يجعل لله سهمها مختصا ، وإنما بدأ عنده بالله ، لأن الكل ملكه ، وقال أبو حنيفة على ثلاثة أسهم : لليتمى ، والمساكين ، وابن السبيل ، وقال مالك الخمس إلى اجتهدا الإمام بأخدمته كفايته ويصرف الباقي في المصالح (إن كنتم آمنتم بالله) راجع إلى ما تقدم والمعنى إن كنتم مؤمنين فاعلموا ما ذكر الله لكم من قسمة الخمس ، واعملوا بحسب ذلك ولا تخالفوه (وما أنزلنا على عبدنا) يعني النبي صلى الله عليه وسلم والذي أنزل عليه القرآن والنصر (يوم الفرقان) أي الفارقة بين الحق والباطل وهو يوم بدر (التقى الجمعان) يعني المسلمين والكفار (إذ أنتم بالعدوة الدنيا) العامل في إذالتى والعدوة شفير الوادى ، وقرئ بالضم والكسر وهما لغتان ، والدنيا القرية من المدينة والقصوى البعيدة (والركب أسفل منكم) يعني العير التي كان فيها أبو سفيان ، وكان قد نكب عن الطريق خوفا من النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان جمع قريش المشركين قد حال بين المسلمين وبين العير (ولو تواعدتم لاختلتم في الميعاد) أي لو تواعدتم مع قريش ثم علمتم كثرتهم وقتلتم لاختلتم ولم تجتمعوا معهم أو لو تواعدتم لم يتفق اجتماعكم مثل ما اتفق بتيسير الله ولطفه (ليهلك من هلك عن بينة) أي يموت من مات يدر عن إعداؤه إقامة الحجة عليه ويعيش من عاش بعد البيان له ، وقيل ليهلك من يكفر ويحيى من يؤمن ، وقرئ من حي بالإظهار والإدغام وهما لغتان (إذ يريكهم الله) الآية : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى الكفار في نومه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فقويت أنفسهم (لفشلتم) أي جبنتم عن اللقاء (وإذ يريكوهم) الآية معناها أن الله أظهر كل طائفة قليلة في عين الأخرى ليقع التجاسر على القتال (ريحكم)

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۖ وَإِذْ زَيْنَ لِهْمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْقُسْتَانُ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَصْلًا مَلَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۖ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۖ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ۖ كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۖ كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالِ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ۖ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۖ فَإِنَّمَا تَشْفَقُهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدْتَهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ۖ وَإِنَّمَا تَخَافَنْ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ۖ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۖ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ

أى قوتكم ونشاطكم، وذلك استعارة (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) يعنى كفار قريش حين خرجوا لبدر (بطرا) أى عتوا وتكبرا (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) الآية : لما خرجت قريش الى بدر تصورهم إبليس في صورة سراقه بن مالك فقال لهم إني جار لكم من قومي وكانوا قد خافوا من قومه ووعدهم بالنصر (نكص) أى رجع إلى وراء (إني أرى ما لا ترون) رأى الملائكة تقاتل (يقول المنافقون) الذين كانوا بالمدينة وقيل الذين كانوا مع الكفار وهم نفر من قريش منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس ابن الفاكه بن المغيرة والحارث بن ربيعة بن الأسود وعلى بن أمية بن خلف والعاصي بن أمية بن الحجاج وكانوا قد أسلموا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع الكفار فقالوا هذه المقالة (غر هؤلاء دينهم) أى اغتر المسلمون بدينهم فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) ذلك فيمن قتل يوم بدر (وأدبارهم) أى إستانهم، وقيل ظهورهم (وذوقوا) هذا من قول الملائكة لهم تقديره ويقولون لهم ذوقوا والقول المحذوف معموله معطوف على يضربون، ويحتمل أن يكون مابعد من قول الملائكة أو يكون مستأنفا (ذلك بأن الله) تقديره عند سيويه الأمر ذلك، والباء سببية، والمعنى أن الله لا يغير نعمة على عبده حتى يغيروا هم بالكفر والمعاصي (كذاب) ذكر في آل عمران (الذين عاهدت منهم) يريد بنى قريظة (فشرد بهم من خلفهم) أى أفل بهم من النعمة ما يزر غيرهم (ولما تخافن من قوم خيانة) أى نقضا للعهد (فانبذ إليهم) أى رذل العهد الذى بينك وبينهم والمفعول محذوف تقديره فانبذ إليهم عهدهم (على سواء)

الْخَيْلُ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلِبُونَ * وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بُنْصَرَهُ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * أَلَمْ تَرَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ يَأْذَنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * مَا كَانَ لَنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّىٰ يَشْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كَتَبَ مِنَ اللَّهِ سَبْقَ لِمَسْكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابَ عَظِيمٍ * فَكَلُوا

أى على معادلة ، وقيل معناه إن تستوى معهم في العلم بنقض العهد (ولا تحسبن الذين كفروا سبوقا) أى لا تظن أنهم فاتوا ونجوا بأنفسهم (أنهم لا يعجزون) أى لا يفتنون في الدنيا ولا في الآخرة (وأعدوا لهم) الضمير للذين ينبذ لهم العهد أولئك لا يعجزون ، وحكمه عام في جميع الكفار (من قوة) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا إن القوة الرمي ، (ومن رباط الخيل) قال الزمخشري الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله وقال ابن عطية رباط الخيل جمع ربط أو مصدر (عدوكم) يعنى الكفار (وآخرين) يعنى المنافقين ، وقيل بنى قريظة ، وقيل الجن لأنها تنفر من صهيل الخيل ، وقيل فارس ، والأول أرجح لقوله مردوا على النفاق (لا تعلمونهم الله يعلمهم) قال السهيلي : لا ينبغي أن يقال فيهم شيء ، لأن الله تعالى قال لا تعلمونهم ، فكيف يعلمهم أحد ، وهذا لا يلزم ، لأن معنى قوله لا تعلمونهم : لا تعرفونهم : أى لا تعرفون آحادهم وأعيانهم وقد يعرف صنفهم من الناس ، ألا ترى أنه قال مثل ذلك في المنافقين (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) السلم هنا المهادنة ، والآية منسوخة بآية القتال في براءة ، لأن مهادنة كفار العرب لا تجوز (وألّف بين قلوبهم) قيل المراد بين قلوب الأوس والخزرج إذ كانت بينهما عداوة فذهبت بالإسلام ، واللفظ عام (ومن اتبعك من المؤمنين) عطف على اسم الله ، وقال الزمخشري مفعول معه والواو بمعنى مع أى حسبك وحسب من اتبعك الله (إن يكن منكم عشرون صابرون) الآية : إخبار يتضمن وعدا بشرط الصبر ووجود ثبوت الواحد للعشرة ثم نسخ بثبوت الواحد للثنتين (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) أى يقاتلون على غير دين ولا بصيرة فلا يثبتون (ما كان لنى أن يكون له أسرى) لما أخذ الأسرى يوم بدر أشار أبو بكر بحيانهم ، وأشار عمر بقتلهم . فنزلت الآية عتابا على استبقائهم (حتى يشن في الأرض) أى يبايع في القتال (تريدون عرض الدنيا) عتاب لمن رغب في فداء الأسرى (لولا كتاب من الله سبق) الكتاب ما قضاه الله في الأزل من العفو عنهم ، وقيل ما قضاه الله

مَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِن الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَالَكُمْ مِّنْ وَلَدِهِمْ مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝

من تحليل الغنائم لهم (فيما أخذتم) يريد به الأسرى وفداؤهم ، ولما نزلت الآية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : لو نزل عذاب ما نجأ منه غيرك يا عمر (فكلوا مما غنمتم) إباحة للغنائم ولفداء الأسارى (إن يعلم الله في قلوبكم خيرا) أى إن علم في قلوبكم إيمانا جبر عليكم ما أخذ منكم من الفدية ، قال العباس فى نزلت وكان قد افتدى يوم بدر ثم أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال ما لا يقدر أن يحمله ، فقال قد أعطاني الله خيرا مما أخذ مني ، وأنا أرى جوا أن يغفر لي (وإن يريدوا خيانتك) الآية تهديد لهم (إن الذين آمنوا) إلى آخر السورة مقصدها بيان منازل المهاجرين والأنصار والذين آمنوا ولم يهاجروا والذين هاجروا بعد الحديبية ، فبدأ أولا بالمهاجرين ، ثم ذكر الأنصار وهم الذين آووا ونصروا ، وأثبت الولاية بينهم ، وهى ولاية التعاون ثم نسخت بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (وإن استنصروكم) لما نفي الولاية بين المؤمنين والتناصر ، وقبل هى ولاية الميراث الذين هاجروا وبين المؤمنين الذين لم يهاجروا : أمر بنصرهم إن استنصروا بالمؤمنين : إلا إذا استنصروا على قوم بينهم وبين المؤمنين عهد فلا ينصرونهم عليهم (إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض) إلا هنامركة من إن الشرطية ولا النافية والضمير فى تفعلوه لولاية المؤمنين ومعاونتهم أو لحفظ الميثاق الذى فى قوله : إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، أو النصر الذى فى قوله فعليكم النصر ، والمعنى إن لم تفعلوا ذلك تكن فتنة (والذين آمنوا وهاجروا) الآية : ثناء على المهاجرين والأنصار ، ووعدهم ، والرزق الكريم فى الجنة (والذين آمنوا من بعد) يعنى الذين هاجروا بعد الحديبية وبيعة الرضوان (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) قيل هى ناسخة للتوارث بين المهاجرين والأنصار ، قال مالك ليست فى الميراث ، وقال أبو حنيفة هى فى الميراث وأوجب بها ميراث الخال والعمة وغيرهما من ذوى الأرحام (فى كتاب الله) أى القرآن وقيل اللوح المحفوظ .